استحضار الموروث القصصي في نقائض جرير والفرزدق والأخطل

د.إنعام داود سلوم إيمان علي القره غولي
جامعة بغداد - كلية التربية للبنات - قسم اللغة العربية

الملخص
بعد تنقّلي بين الأساطير و أيام العرب وحروبها خلصتُ إلى أنّ شعراء الثالوث الأموي قد استحضروها بقصدية ووعي لانها تمثل تراث امتهم فضلا عن اعتزازهم بالموروث كونهم بطبيعتهم يعتزون بكل ما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم, فالموروث القصصي كنزا من كنوز المعرفة المتمثّل بأيام العرب وحروبها كونه يعد مرآة صادقة لأحوال العرب وعاداتهم وفضائلهم فضلاً عن كونه شرطا من الشروط الواجب توافرها لدى شاعر النقائض وهي معرفته بالأيام لأنّه يستخدمها للنيل من خصمهِ والاستعانة بها ما هو إلاّ دليل على معرفة وثقافة الشاعر الغزيرة التي توضّح إطلاعه على أيام العرب وتاريخها غير إنّ هذا الاستحضار لم يكن بمستوٍ واحد لدى هؤلاء الشعراء بل كان متفاوتًا وهذا التفاوت يرجع إلى مخزونهم الثقافي والمعرفي فقد حظي جرير بالمرتبة الأولى في تضمين الأيام والحروب وهذا دليل معرفتهِ وثقافتهِ الغزيرة لتلك الأيام والحروب على صعيدي الأيام الجاهلية والإسلامية ويأتي بعده في المرتبة الثانية الفرزدق ثمّ الأخطل.وما ذلك الا دليل اعتزاز جرير بتراث امته وربطه الماضي بالحاضر .

Employment of Narrative Tradition In the Polemic Poems of Jarir , Al-Farazdaq and Al-Akhtal

Dr. In'am Dawood Salloom Iman Ali Al-Karagholly
University of Baghdad – College of Education for Women – Arabic Language Dept.

Abstract
The present study is an attempt to show how the three Umayyad poets ; Jarir , Al-Farazdaq and Al-Akhtal have consciously and skillfully employed in their poetry som ancient Arab legends ,historical events and wars as they provide atrue image of the values and customs of the peoples who lived before them .

Their employed , how ever, takes avarying degrees depending, to alarge extent , an the vast but personal knowledge of each poet the past tradition , and practices . Jarir ,in many respects out , stands the first , Al-Farazdaq , the second and Al-Akhtal , the third .

المقدمة
يعد الموروث العربي بما يحتوي من فكر إنساني واجتماعي مصدرا للشاعر ومنبعًا ثرًّا لا ينضب ومواردًا ثقافيًّا لا ينتهي وركيزة قوية لا يمكن الاستغناء عنها مهما يكون حظّهُ من الموهبة والقدرة على الإبداع،لأنّ الموروث خلاصة تجارب الماضين وعلى هذا الأساس أخذ الشعراء ينهلون من موروثهم المضامين الأدبية والاجتماعية والسياسية، وقد اكتشف الشاعر العربي القديم أهمية الموروث الزاخر بمعطياتهِ فتمسك بهِ تمسكًا شديدًا واستند إليه كونه سجلا مذكرا لمفاخرهم ومستنهضا لهممهم فكان الموروث القصصي بما يتضمن من أساطير وأيام لونا مميزا أبدع فيه شعراء العصر الأموي ولاسيما جرير والفرزدق والأخطل .وقد اختصرت الباحثة في حديثا عن الأيام والحروب لتحديدها بعدد من الصفحات التمس العذر في ذلك .

فالأساطير عبارة عن قصص حقيقية كانت واقعة في أثناء المراحل الأولى لروايتها وبانتقالها بين الشعوب أضيف إليها ما يتفق وعادات شعبٍ من الشعوب وتقاليده ومعتقداته وحُذف منها ما لا يتفق وعادات ذلك الشعب وتقاليده ومعتقداته (١).

وتعرف بأنها المصدر الأول والأقدم لجميع المعارف والخبرات الإنسانية فهي جماع التفكير والتعبير عن الإنسان في مرحلته البدائية والقديمة(٢).

ويعرف فوزي العنتيل الأسطورة بأنها: (قصة مخترعة بغرض تفسير الأحداث الطبيعية غير العادية)(٣). أو هي الأسطورة التي قد تزود الإنسان بصورة كلية عن العالم الذي يعيش فيه أو كما يقول ليفي شتراوس:(نماذج منطقية تكون قادرة على قهر التناقضات التي يواجهها في الواقع)(٤) وهي على حد قولهِ: (ليست مجرّد حكايات تؤلّف عمداً، بل هي تعيش بالضرورة في عقل الإنسان، فهي تمثّل جزءًا من الأشكال الأساسية التي يتكشف من خلالها بناء العقل البشري)(٥).

فقد كان للعرب في البداية كما كان لشعوب الأرض حكاياتهم وخرافاتهم وأساطيرهم سواء في هذا ما أنشأوه هم أنفسهم أو ما ترامى إليهم من قصص الشعوب الأخرى كالفرس والهنود.
كان نصيب التراث (الموروث) العربي من الأسطورة منذ العصر الجاهلي قليلاً قياسًا مع ما هو موجود عند الأمم والشعوب الأخرى المجاورة؛ وذلك لأسباب من هذه الأسباب يمكن ذكر سببين منها: الأول: أنّ العصر الجاهلي الذي سبق مجيء الإسلام بحوالي قرنين لم يكن كلّه عصر أسطورة، وخلال هذين القرنين لا يمكن بأي حال من الأحوال أنْ تتكون خلالهما أساطير كثيرة تضاهي الأساطير الإغريقية مثلاً وهي الفترة التي حددناها سابقًا والتي تتمثل بالعصر الجاهلي المحصورة بين (١٥٠-٢٠٠ سنة قبل الإسلام). والثاني: يشمل الفترة المحصورة بالعصر الإسلامي حيث إنّ الدارسين العرب بعد مجيء الإسلام قد أبعدوا أو أخرجوا تراث العرب الأسطوري الذي ورثوه عن العصر الجاهلي وهو بطبيعة الحال تراث وثني من إطار الأدب والتاريخ أي متعلّقة بمعتقدات بدائية كان العرب أنفسهم قد بدأوا ينصرفون عنها قبيل الإسلام إلى لون من التفكير الواقعي الذي لا يتعارض والعقيدة الإسلامية(٦). إلاّ أنّ الباحثة توصّلت إلى انعدام الأساطير في العصر الإسلامي.
إنّ مفهوم الأسطورة عند العرب هو ذاته عند سائر شعوب الأرض، حيث تنشأ عند الإنسان، مع نشأة قدرتهِ على الإبانة والتعبير فيحاول عن طريقها أنّ يُفسّر ما يعجز عن فهمهِ من ظواهر الكون. فالعرب في الجاهلية كانت لهم معارف منها معرفتهم بالنجوم ومطالعها وأمطارها بدليل ما قاله الجاحظ: (وعرفوا الأنواء ونجوم الاهتداء... ولحاجته إلى الغيث وفرارهِ من الجدب وضنّه* بالحياة اضطرتهُ الحاجة إلى تعرف شأن الغيث، ولأنّه في كلّ حال يرى السماء وما يجري فيها من كوكب ويرى التعاقب بينها والنجوم الثوابت فيها وما يسير منها مجتمعًا وما يسير منها فاردًا وما يكون منها راجعًا ومستقيمًا...)(٧).
من هذا يتضح أنّ العرب بسبب ظروف الحياة الصعبة والقاسية التي كان يعانيها العربي أدّت بهِ إلى التوصّل إلى تلك المعارف وغيرها، فالعرب في القديم قد شخصوا الأجرام السماوية كما هو مألوف في التفكير الأسطوري وأنشأوا حولها بعض الأساطير من ذلك ما يروى أن الدبران خطب الثريا إلى القمر لكن الثريا رفضت وامتنعت...(٨).
فالكواكب والنجوم والأنواء يدرجها د. أحمد النعيمي ضمن الأسطورة المتمثلة بالطبيعة الصامتة وسوف نتحدث عنها بعد قليل.
إنّ لجوء الشاعر لتوظيف الموروث الأسطوري في شعرهِ ليحقق التواصل بين الماضي والحاضر، دون أن يكون هذا التوظيف على حساب القيمة الفنية للقصيدة وإنما يزيدها إبداعًا (٩) فتعزز الأسطورة الرؤى التي يسعى المبدع لإيصالها من خلال تجربته برؤية جديدة وهذا لا يعني أنّ شعراء النقائض بتوظيفهم هذا أنّ عقولهم لم تنضج بعد على العكس من ذلك فإنهم أثبتوا بجدارة قدرتهم وتمكّنهم من ذلك بتوظيفهم هذا ومدى النضج العقلي الذي امتازوا به من خلال الإبداع الذي حققوه بفضل ذكائهم وفطنتهم وفراستهم وسرعة البديهة. فإنّ استدعاء الأسطورة بوعي من الشاعر من خلال الرجوع إلى التاريخ حتى يستمد رؤيته من مكونات الأسطورة التي تعتمد في الأساس على الواقع فهي تسعف الشاعر وتمكنه من الربط بين أحلام العقل الباطن، وأحلام الواقع، وربط التجربة الذاتية بالتجربة الجماعية، وتفتح آفاقًا واسعة للتنويع في تراكيب القصيدة وأبنيتها(١٠).
هناك صلة وثيقة بين الأسطورة والتجربة الشعرية التي لا تتحقق إلاّ إذا كان في الأسطورة صدى خاص في نفسية الأديب، وجدتْ بعض الومضات العائمة في لا وعي المبدع (الشاعر) في بعض معطيات الأسطورة صورتها الرمزية التي تضيئها وتنقلها إلى الشعور في هذه الحالة يتم الاعتماد على الأسطورة، وبذلك تتحقق هذه الصلة، وبذلك فإنّ الأسطورة ليست قالبًا تُصب فيه أفكار الأديب الجاهزة (١١).
تعددت الآراء حول الأسطورة وتوظيفها في الشعر فمنهم من يرى أنّ قصدية توظيفها يأتي من أهميتها كونها تعد كنزًا من كنوز التجربة والمعرفة التي يتعرف من خلالها الإنسان على العلوم والمعارف (١٢)فضلاً عن اعتزاز العربي بالموروث لأنّه بطبيعته يعتز بكل ما ورثه عن آبائهِ وأجدادهِ .
وترى الباحثة أنّ هذا التوظيف يأتي لاستنباط العبرة والعِظة فضلاً عن اكتساب المعارف والعلوم المتنوعة.
إن (الأساطير هي ضرب من العلوم القديمة وأهم المصادر لجميع المعارف الإنسانية، بطريقة فلسفية وتأمّلية والأساطير أنواع منها: الطقوسية والتكوينية والتعليلية والتاريخية)(١٣).
ومنهم من يقسمها على أنواع وهي:

١. أساطير أخلاقية تهدف إلى توجيه النصح والإرشاد.
٢. وأساطير فكاهية تهدف إلى الترفيه وإثارة الضحك.
٣. وأساطير اجتماعية هدفها نقد الوضع الاجتماعي لفترة من الفترات.
٤. أساطير الأطفال التي تسعى لتلقين الصغار وتفهيمهم إياها ولحوادثها (١٤)

فارتأت الباحثة أن تتبع الدكتور أحمد النعيمي في تقسيمه للأساطير .
اسطورة الطبيعة الصامتة (الكواكب والنجوم والأنواء):
من أقدم أنواع الآلهة بمنظور الفكر الأسطوري هي (آلهة السماء) ويتقدم تلك الآلهة (الشمس والقمر) حيث إنّ كلاً منهما مستقل عن الآخر عند التشخيص خلاف النجوم والكواكب التي تكون مترابطة بعضها ببعض (١٥).

إنّ بواعث خلق الأساطير العربية حول الكواكب والنجوم، لم تكن مجرّد موروث حسب، فقد ارتبطت بطبيعة بلاد العرب الشحيحة بمياهِها ممّا أفضى ذلك إلى التجاء العرب إلى ممارسة طقوس ومعتقدات، تمكنهم من الحصول على الغيث والاهتداء بها فضلاً عن اكتساب معرفة بالأنواء (١٦) والدليل على ذلك قول الجاحظ: (كان في العرب من يسرف في الإيمان بالأنواء) (١٧).

يرى الدكتور أحمد أنّ هناك آراء ترجّح (أنّ الصورة الأصلية لتقديس مظاهر الطبيعة مع القمر والشمس ترجع في الأصل إلى بلاد العرب) لذلك كانت ظاهرة الثالوث الإلهي المتكونة من الشمس (الأم) والقمر (الأب) والزهرة (الابنة) ونظرتهم لهذه الأسطورة تنسحب إلى بقية الكواكب والنجوم (١٨).

وقال الفرزدق:

أقــــولُ لمغلـــــوبٍ أمـــــاتَ عِظامَـــــهُ تعاقَـــبُ أدراجِ النّجـــومِ العـــواتِمِ (١٩)

فقد استحضر الشاعر الموروث الأسطوري المتمثل بسير العُقَب بالنجوم التي حقق من خلال تلك العملية المقصودة حقيقة ما غلب على صاحبه من إعياء ونُعاس.

فأراد الشاعر باستحضارهِ هذا إثبات حقيقة أو رؤى يتمنى من الذي غلب عليه النعاس والإعياء بأن لا ينام ويسير في ذلك المسير الذي هو تعاقب سير العقب بالنجوم.

قال الفرزدق:

لنـــا قَمـــرُ الســـماء علـــى الثريَّـــا ونحـــنُ الأكثـــرونَ حصـــىً وغابـــا

ولســـــت بِنائِـــــل قمـــــرَ الثريَّـــــا ولا جَبلـــي الـــذي فـــرع الهضـــابا (٢٠)

ذكر الشاعر إيجابية أثبتها له ولقبيلتهِ من خلال استدعائهِ لفظتي (قمر، والثريا) بأنّ قبيلته أكثرا كرما وعلوا وشرفا من قبيلة جرير فهو بهذا أثبت العلو والشرف والكرم لهُ ولقبيلته ونفاها عن جرير وقومهِ وزاد هذا التأكيد تضمينه (جبل – هضابا) وهما من عناصر الطبيعة لإثبات أنّهم أصحاب علو وشرف وإباء.

وقوله:

محيطَـــا بالجبـــالِ لـــهُ ظِـــلالٌ مـــع الجَربـــاءِ قَـــدْ بَلَـــغَ الطِبابـــا (٢١)

استلهم الشاعر لفظتي (الجرباء) التي أراد بها السماء و(الطباب) المجرة التي تكون في السماء فمن خلال تلك الرموز الصامتة استطاع أن يُظهر الحقائق ويستنطقها، فقد نجح في إثبات حقيقة أنّهم أصحاب مجدٍ وعلوٍّ.

وقول الفرزدق في هجاء بني جعفر:

تحـــدَّرُ قبـــلَ الـــنّجْمِ ممّـــا أمامَـــهُ مـــن الـــدَّلْوِ والأشـــراطِ يَجْـــري غـــديرُها (٢٢)

استلهم الشاعر الموروث الأسطوري مستفيدًا من دلالته مازجًا بالوقت نفسه تجربتهُ مقرّبًا الشاعر الأسطورة من واقع المتلقي لضمان وصول الفكرة لتحقيق نجاحه في جعلها تجربة فنية وموضوعية فنلاحظ في هذا البيت الذي هجا به الفرزدق بني جعفر بأنّهم يهبطون قبل أن يصلوا للنجم فوصفهم بهذا النجم ليستلهمه كونه يمثل العلو والرفعة وكذلك (الأشراط) (٢٣) وهذان النجمان موجودان في برج الحمل. فقد نجح الشاعر في إذابة هذه الألفاظ الأسطورية الجامدة في بيته الشعري لإيصال إيجابية يثبتها لنفسهِ وقومهِ وينفيها عن خصمهِ.

وقولهِ:

ومَجْـــــدُ بنـــــي دارِمٍ فَوقَـــــهُ مكـــانَ السِّـــماكَيْنِ والفَرقَـــدِ (٢٤)

استدعى الشاعر الموروث الأسطوري بلفظتي (السماك والفرقد) وهو استدعاء جاء في عجز البيت ليثبت حقيقة في نفسهِ أراد إيصالها إلى المتلقي مفادها أنّ مجد بني دارم في السماء لا يرتقي إليهِ سواهم؛ فقد جاء هذا التوظيف خدمةً للتجربة الشعرية من خلال تسويق النص بما يوافق رؤى ومبتغى الشاعر فجاء توظيفها ناضجًا فضلاً عن خدمته موضوع الفخر ببني دارم.

وقوله أيضًا:

ولـــو تُـــنْكِحُ الشَّـــمسُ النّجـــومَ بنَاتِهـــا إذاً لَنَكَحنـــاهُنَّ قَبْـــلَ الكواكِـــبِ (٢٥)

استحضر الشاعر لفظتي (الشمس والنجوم) ليُعلم المتلقي ويؤثّر فيهِ من خلال ذلك بأنهم أصحاب نسب وشرف حتى لو انّ الشمس زوّجت بناتها ، من النجوم، لتزوجناهنّ نحن بشرفنا.

فقد تمكن الشاعر من إذابة الأسطورة في بنية القصيدة لتصبح من صميم تركيبها ممّا يمنحها البقاء من خلال هذه الرموز لاستنطاق الحقائق وإظهارها.

قال جرير:

ألا إنّمـــا قَـــيسٌ نُجـــومٌ مُضِـــيئةٌ يَشُـقُّ دُجـى الظلمـاءِ باللّيـلِ نُورُهـا (٢٦)

فقد ضمن الشاعر الموروث الأسطوري (نجوم) مستفيدًا من دلالتهِ مازجًا في الوقت نفسه تجربته مقرّبًا الأسطورة من واقع المتلقي لضمان وصول الفكرة لتحقيق نجاحه في جعلها تجربة فنية وموضوعية فنلاحظ في هذا البيت أنّ الشاعر يذكر أنّ قيسا لها منزلة عالية يهتدى بها في ظلام الليل كالنجمة. فقد نجح الشاعر في إذابة هذا الموروث الأسطوري لإثبات إيجابية الرفعة والعلو لبني جعفر ونفيها عن خصمها.

قال الفرزدق:

تَعـــاطَ مكـــانَ الـــنّجمِ، إن كُنـــتَ طالِبًـــا بَنـــي دارِمٍ، فـــانظُر متـــى أنـــتَ نائِلُـــهْ

فَلَـــنّجْمُ أدنـــى مِـــنهُمُ أنْ تنالَـــهُ عليـك فأصـلِحْ زَرْبَ مـا أنـتَ آبِلُـهْ (٢٧)

فقد أثبت الفرزدق إيجابية العلو والرفعة ونفاها عن جرير وذلك من خلال توظيف الموروث الأسطوري في البيتين وهو (النجم) ليثبت للمتلقي عجز جرير وقومه عن الوصول إلى ذلك النجم الذي في السماء.

قال الفرزدق:

أخَـــذْنا بآفـــاقِ السَّـــماءِ علـــيكُمُ لنـــا قَمراهـــا والنّجـــومُ الطّوالِـــعُ (٢٨)

هنا في هذا البيت أثبت الفرزدق لنفسهِ وقومهِ العلو والرفعة من خلال استدعاء الموروث الأسطوري المتمثل بـ(الشمس والقمر والنجوم) والذي زاد هذا الاستدعاء هو تعدد الموروث الأسطوري فلم يقتصر على رمز أسطوري فحسب وإنما تعدّاه إلى اثنين آخرين وهو بهذا التوظيف أثبت إيجابية لنفسه ولقومهِ بأنّ (الشمس والقمر والنجوم) لهم كونها تمثل العلو والسمو ونفاها عن جرير وقومهِ.

قال الفرزدق:

أرى اللّيـــلَ يَجْلُـــوه النّهـــارُ، ولا أرَى عِظـامَ المخـازِي عَـنْ عَطِيّـةَ تَنْجلِـي (٢٩)

فقد أثبت الشاعر حقيقةً ألا وهي ضعف عطية وقلة فطنتهِ فضلاً عن خمولهِ وبخلهِ ووضاعتهِ والتي تعد عند العرب من المخازي والمثالب لأنّ العرب تفخر بالشجاعة والكرم والمجد والرفعة والفطنة ونفاها عن نفسه من خلال ذلك التوظيف الأسطوري المتمثل (بتعاقب الليل والنهار).

قال جرير:

سَـــقَتْها الثّريَّـــا ديمـــةً واســـتَقَتْ بِهـــا غَـــروبَ سِـــماكِيٍّ تَهلّـــلَ وابِلُـــهْ (٣٠)

استحضر الشاعر رمزي (الثُّريّا وسماك) في شطري البيت الشعري جاء لإثبات حقيقة وهي أنّ المطر يسقي إبلهم حيثما كانت لِعزتها ومنعتها.

وقال جرير:

منَعَـــوا الثّغـــورَ بعـــارض ذي كَوكَـــبٍ لـــوْلا تَقَـــدُّمُنا لَضـــاقَ المَطْلَـــعُ (٣١)

فإنّ استخدام الشاعر رمز (كوكب) استخدامًا قصديًّا فنيًّا إيحائيًّا ليعبّر من خلالهِ عن رؤية وحقيقة أراد إثباتها وهي أنّ هذا الجيش لكثرة سلاحهِ يبرق كما يبرق الكوكب؛ فهو بهذا التوظيف الأسطوري أثبت حقيقة لنفسهِ وقومهِ ونفاها عن خصمهِ وقومهِ دون أن يُصرح بذلك.

وقال الأخطل رادا على جرير:

إذا طَلَـــعَ العَيُّـــوقُ والـــنجمُ أولَجَـــتْ سَـــوالِفَهَا بَـــيْنَ السِّـــماكَيْنِ والقَلْـــبِ (٣٢)

فقد استدعى الشاعر في البيت بشطريهِ ألفاظًا من الموروث الأسطوري (الطبيعة الجامدة) وهي (العيوق – النجم والسماكين، والقلب) لإثبات الفكرة التي أراد إيصالها وإثباتها بأنّ هؤلاء القوم لا يسيرون بالنهار خوفًا من الحر ويسيرون إذا طلع السماكان والقلب وهما يطلعان من أوّل الليل وهذا يؤكد امتلاك الشاعر ثقافة ومعرفة بالنجوم والفَلك.

قال الأخطل:

ولا يُلاقَـــونَ فُرّاصًـــا إلـــى نَسَـــبٍ حتـــى يُلاقِـــي جَـــدْيَ الفَرْقَـــدِ القَمَـــرُ (٣٣)

وظّف الشاعر لفظة (القمر) وهي من الموروث الأسطوري ليثبت حقيقة مفادها أنّ الأنصار لا يصلون إلى نسب فرّاص بن معن بن مالك بن أعصُر كالقمر الذي عُرف بسمو المنزلة وعلوها وان الأنصار لا يصلون إلى منزلته. فمن خلال الرمز الأسطوري الفرقد القمر أثبت حقيقة علو نسب فرّاص.

قال جرير يناقض الأخطل:

ومـــا لِتَغلِـــبَ إنْ عُـــدَّتْ مَكـــارِمُهُم نَجْـــمٌ يُضِـــيءُ ولا شَـــمسٌ ولا قَمَـــرُ (٣٤)

استحضر الشاعر في عجز البيت الموروث الأسطوري والذي تضمن الألفاظ (نجم – شمس – قمر) ليثبت من خلال ذلك الاستحضار أنّ تغلب لم تشتهر بالمكارم كما اشتهرت فيها باقي القبائل حتى تحظى بمنزلة ترتقي فيها وتشع كالنجوم والشمس والقمر، وبذلك فإنّ جرير قد نفى هذه الخصلة عن الأخطل وقومه وأثبتها لقومه.

وقال جرير:

ويَســـــعَى التَّغلِبـــــيُّ إذا اجتَبَيْنَـــــا بِـِجزيَتِـــهِ وينتظِـــرُ الهِـــلالا(٣٥)

فقد وظّف الشاعر في عجز البيت رمز (الهلال) وهو رمز أسطوري طبيعي صامت لإثبات أمر يريد إيصاله للمتلقي وهو أنّ الأخطل نصراني يدفع الجزية لأنّه لم يُسْلِم فيترقب ظهور الهلال لدفعها.

ذكرت الباحثة فيما تقدّم أسطورة الطبيعة الصامتة المتمثلة بـ(الكواكب والنجوم) والتي تمثّل الآلهة في السماء وسوف تتحدث الباحثة الآن عن الآلهة في الأرض والتي تتمثل بالأوثان والأصنام. هناك علاقة وثيقة بين هذه الأصنام والأجرام السماوية من حيث إنّها أي: الأصنام من أهم الرموز المعبّرة عن عبادة الأجرام السماوية(٣٦).

وستقتصر الباحثة في هذا الشأن على (الدوار) كونه ورد في نقائض الشاعرين (جرير والفرزدق). حيث إنّ «الدوار» يعد شعيرة من شعائر تقديس الآلهة، لدورانهم حولها وهو يشبه دوران الكواكب، وهذا لا يعني التشبيه بينهما وإنما هناك الكثير من الأسماء الخاصة بالأوثان ليست سوى أوصاف للكواكب التي عبدها الناس وهذا لا ينطبق على جميع الأوثان (٣٧) والحديث بهذا الأمر يطول وستقتصر الباحثة على موضوع «الدوار» من خلال ذكر الشواهد التي وردت في نقائض جرير والفرزدق.

قال جرير:

لا تَفْخَـــرنَّ فـــإنَّ ديـــنَ مُجاشِـــعٍ ديـــنُ المجـــوسِ تَطـــوفُ حَـــوْلَ دُوار(٣٨)

من خلال توظيف الشاعر لفظة (دوار) أثبت أنّ مجاشع لا دين لها كونها تطوف حول الأصنام كالمجوس أي الفرس – الذين يعظمون النار والشمس حتى إنّ نارهم لا تنطفئ أبدًا كونها تمثل رمز المجوسية.

قال الفرزدق:

يَنْهَسْـــنَ أدْرُعَهُـــنَّ حـــينَ عَهِـــدْنَها ومكـــانُ جُثوَتِهـــا لَهُـــنّ دُوارُ (٣٩)

استدعى الشاعر لفظة (دوار) وهي الأصنام ليثبت حقيقة وهي أنّ قبورهن كالأصنام يطوفون حولها.

وقال الفرزدق:

علـــى حِـــينِ لا تُحْيـــا البَنـــاتُ، وإذْ هُـــمُ عُكـــوفٌ عَلـــى الأنصـــابِ حَـــوْلَ المُـــدوَّرِ (٤٠)

أثبت الفرزدق حقيقة وئد البنات أيام الجاهلية من خلال استلهامهِ (الأنصاب – مدور) والتي قصد بهاتين اللفظتين الأصنام التي كانت العرب تطوف حولها فإنّ الشاعر بعبقريته قد جمع بين أمرين وهما وئد البنات والطواف حول الأصنام وكلاهما يوقع فاعلهما بالذنب العظيم فقد أبدع بتوظيف (الأصنام) ليثبت حقيقة وئد البنات. ويندرج ضمن الأساطير المعتقدات المتعلقة بالسحر والتعاويذ والتي لها جذور كنعانية اختلطت الأسطورة بالدين، وشكّلت أهم ملامح الحياة الاجتماعية قبل آلاف السنين (٤١) من ذلك ما ورد في نقائض جرير والفرزدق إذ قال الفرزدق:

فـــإنّ تميمًـــا لـــمْ تَكُـــنْ أمّـــةً ابتغَـــتْ لَـــهُ صِـــحَّةً فـــي مَهـــدِهِ بالتَّمـــائِمِ (٤٢)

فقد استحضر الشاعر في هذا البيت لفظة (التمائم) مستفيدًا من دلالتها مازجًا معها تجربته مقرّبًا إياها من واقع المتلقي لضمان وصول الفكرة ألا وهي أنّ سليمان بن عبد الملك على الرغم من شجاعتهِ لم تعلّق عليه التميمة لالتماس الصحة وهي من عادات العرب في الجاهلية فقد نجح الشاعر من خلال ذلك التوظيف في إثبات حقيقة أنّ هذا الرجل ذو صحّة وقوة وشجاعة.

أسطورة الطبيعة المتحركة (عالم الحيوان):

إنّ نظرة العرب الأسطورية لم تقتصر على كواكب السماء، وبجمادات الأرض حسب، إنما تجاوزتها إلى الحيوان المتمثل بالطير والإبل وثور الوحش (٤٣) وما تتمثل بذلك الحيوان من روح تمتلك أجسام هوائية لها عقول وقدرة على الأعمال (٤٤) وهي ما تسمى بـ(الملائكة والجن والشياطين) فقد كان العرب في الجاهلية يؤمنون بوجود الملائكة ويعبدونها (٤٥).هناك الكثير من الدراسات التي توصّلت إلى أنّ هناك صلة بين الأساطير وعالم الحيوان مفادها: (إنّ كثيرًا من

الأساطير كانت في الأصل تجسيمًا لقوى حيوانات بعينها، ثمّ تطوّرت فأصبحت آلهة تحتفظ بصورة الحيوان أو برمز دال عليه) (٤٦) فالدليل الذي استندت عليه تلك النتائج والدراسات هو اتخاذ كثير من الآلهة شكلاً حيوانيًّا (٤٧) فقد كانت مراد تعبد نسرًا وغيرهم الكثير (٤٨).فقد ذكرنا قبل قليل أنّ هناك أرواحا خفيةً تسيطر على تلك الحيوانات فتؤثر فيها فتجعلها (آلهة) تعبد وتلك الأرواح الخفية تتمثل (بالجن والشياطين...) كما ذكرت الباحثة والتي تندرج ضمن الموروث الأسطوري والذي يشكل أداة من أدوات الفكر الأسطوري انطلاقًا من كونها في نظر المجتمعات تطغى على كثير من الكائنات (٤٩).والذي يؤكد ذلك قول الدكتور محمد عبد المعيد خان: (تعد الجن إحدى تلك القوى التي تحل في الحيوان حتى كان الجن حيوانًا في تصوّر العرب القدماء) (٥٠).

قال الفرزدق:

ولقــد ضَــلَلْتَ أبــاكَ تَطْلُــبُ دارِمًــا كضَــلالِ مُلــتَمِسٍ طَريــقَ وبــارِ (٥١)

من الأساطير والخرافات التي ارتبطت بالجن أنّهم سكنوا الأرض قبل البشر، وأنّ السبب في ظهور أسطورية الجن في بلاد العرب القديمة الخوف والوهم، وهما أساس تصور هذه الكائنات الغيبية (٥٢).لذلك فقد وظّف الشاعر لفظة «وبار» وهي الأرض التي غلب عليها الجنّ والتي لا تُسلك لإثبات حقيقة أراد إيصالها الشاعر للمتلقي بأنّ جرير قد زل وانحرف ولم يصل إلى دارم كما ينحرف من سلك طريق الجن فقد استفاد الشاعر من لفظة (وبار) مازجًا إياه بتجربتهِ مقرّبًا الأسطورة من واقع المتلقي لضمان وصول الفكرة وبالتالي يتحقق نجاحه في جعلها تجربة فنية وموضوعية.

وقال جرير:

وإنْ فَــتَنَ الشَّــيْطانُ أهْــلَ ضــلالةٍ لَقُوا مِنكَ حَربًا حميُها غيرُ بـارِدِ (٥٣)

فقد وظّف جرير الموروث الأسطوري (الشيطان) والذي هو أداة الفكر الأسطوري الذي يطغى على كثير من الكائنات مستفيدًا من هذه الدّلالة مازجًا إياها في الوقت نفسهِ بتجربته ليؤكد ويثبت أنّ خالدا بن عبد الله هو من يقاتل الذين أضلهم الشيطان عن الحقّ بحربٍ مشتعلة لا تنطفئ.

قال الأخطل:

مَلاعِــبُ جِنّــانٍ كــأنّ تُرابَهــا إذا اطّــردَتْ فيــهِ الريــاحُ مُغربَــلُ (٥٤)

استحضر الشاعر الموروث الأسطوري المتمثل بـ(جِنّانَ) مستفيدًا من دلالتهِ مازجًا في الوقت نفسه تجربتهُ مقرّبًا الشاعر تلك الأسطورة من واقع المتلقي لضمان وصول فكرة أنّ هذه الفلاة مقفرة من الإنس وهي ملعب للجن حتى إنّ الرياح إذا مرّت خاطفةً بها تغربل.

قال الفرزدق:

ونحــنُ تَرَكنــا مِــنْ هِــلالِ بــن عــامِرٍ ثَمــانينَ كَهــلاً للنّســورِ القَشــاعِمِ (٥٥)

استدعى الشاعر الموروث الأسطوري المتمثل بـ(النسور) ليثبت حقيقة انهزام بني هلال بن عامر وما خلفته الحرب من قتلى وصفهم الشاعر بالضعف وفي المقابل أثبت شجاعة بني نهشل وما ألحقوه ببني هلال من هزيمة وخسارة.

قال الفرزدق:

ولــيسَ ابــنُ حَمــراءِ العِجــانِ بِمُفلِتــي ولــمْ يَزدَجِــرْ طيــرَ النّحــوسِ الأشــائِمِ (٥٦)

فقد ضمن الفرزدق في عجز هذا البيت الموروث الأسطوري المتمثل بـ(طير الأشائم) ليثبت من خلال ذلك التضمين حقيقة عدم كفّ جرير عن ملاحقتهِ بهجائهِ حتى وإن رأى ذلك الطير المنحوس فذلك يدلّ على عدم إيمان جرير بتلك الخرافات.

قال جرير:

شــــياطينُ الــــبِلادِ يخفَــــن زَأري وحَيّــــةُ أريُحــــاءَ لــــيَ اســــتجابا (٥٧)

استلهم الشاعر الموروث الأسطوري في شطري البيت وكلاهما يمثلان الطبيعة المتحركة وهما (شياطين – حيّة) ليثبت من خلالهما شجاعته وبطولته وعدم القدرة على التصدّي لهُ فقد أثبت هذه الإيجابية له ونفاها عن خصمه وعدوّه الفرزدق.

وقال الأخطل:

مُقَــــدِّمٌ مِــــائتَيْ ألــــفٍ لِمَنزِلَــــةٍ مــا إنْ رأى مِــثْلَهُم جِــنٌّ ولا بَشَــرُ (٥٨)

استدعى الشاعر لفظة (جن) وهي لفظة أسطورية مألوفة عند العرب كونها كثر الحديث عنها عندهم فأصبحت مألوفة ليثبت حقيقة أراد إيصالها للمتلقي لينجح في التأثير فيه، بأنّ هؤلاء أشداء وهم فداء لأمير المؤمنين ولا يضاهيهم جن ولا بشر.

وقال الأخطل:

والحــرثَ بــنَ أبِــي عَــوْفٍ لَعِــبنَ بــهِ حتــى تَنَازَعــهُ العِقبــانُ والسُــبَرُ(٥٩)

استلهم الشاعر (العِقبان والسُبر) وهما طائران عُرف عنهما أنهما يحومان أعلى المعركة حتى يأكلان القتلى التي تسقط جرّاء المعركة فقد استطاع الشاعر أن يذيب هذه الرموز الأسطورية في البيت الشعري لتطابق ما أراد إيصاله من حقيقة وهي أنّ الحارث ابن أبي عوف جبان حتى إنّ العقبان والسُبر قد اجتمعوا عليهِ في المعركة لأنّه سقط قتيلاً.
وقال الأخطل:

كـــانُوا ذَوِي إمَّـــةٍ حتـــى إذا عَلِقَـــت بهـم حبَايـلُ للشَّـيطانِ وابتَهَـرُوا (٦٠)

فقد نجح الشاعر في توظيف لفظة (شيطان) ليؤكد حقيقة وهي أنّ عُمير كالشيطان في إنّه ما إن صار في قومهِ حتى زالت النّعم والحسنات كالشيطان الذي إذا أضل الإنسان عن طريق الحقّ فإنه يجلب له المصائب والسيئات.
فمن خلال هذا الاستدعاء الأسطوري استطاع الشاعر تحقيق نجاحه من إذابة هذه اللفظة (شيطان) في بيتهِ الشعري.
كانت العرب تعتقد أنّ روح الميت تتحول إلى طائر يظل هائمًا بين الأحياء متخذًا أسماء عدة بطبيعة تلك المجتمعات ومعتقداتها وانطلاقًا من اعتقادهم بأنّ الأرواح تمتلك القدرة على التنقل السريع والدوران في عالم الأحياء أو الأموات (٦١) ثمّ بعد ذلك أصبحت ظاهرة التطير عادة من عادات العرب قبل الإسلام.
هناك سببان جعلا للطيرة شأنا عظيما في حياة العرب خصوصًا قبل الإسلام حتى أنّها أصبحت ظاهرة مألوفة عندهم أولهما ضعف العقيدة وتذبذب إيمانهم فضلاً عن إضفائهم على الجمادات والحيوانات والطيور هالة من القدسية لاعتقادهم بوجود قوى خفية تكمن فيها لذلك شاعت عندهم الأساطير وتأصّلت في نفوسهم الخرافة وكثرت عندهم الطيرة والفأل وما إن جاء الإسلام طرد من عقولهم كلّ ذلك ليضع مكانها أصول الإيمان والعقيدة السمحاء (٦٢).
ولم تكن مقتصرة هذه الظاهرة على التطير فحسب (٦٣) وإنما تعدّت إلى العطاس والأسماء (٦٤).
يقول المبرد: (العرب تزجر على السانح وتتبرك به وتكره البارح، وتتشاءم به والسانح ما أراك ميامنه فأمكن صائده، والبارح، ما أراك ميامنه فلم يكن الصائد إلاّ أن ينحرف له) (٦٥).
هناك نوع آخر من الطيور نال نصيبًا وافرًا من الأساطير وهو (النسر والغراب) فمن العرب من اتخذهُ وسيلة تُعينهم على التنبّؤ بالغيب وآخرون اتخذوه آلهة (٦٦) والذي يؤيد ذلك رأي أحدهم: (أنّ نسرًا إله عربي قديم) (٦٧).
قال الفرزدق:

نَبَحْـتَ لِقَـيسٍ نَبحَـةً لـمْ تَـدَعْ لهـا أنوفًـا ومَـرَّتْ طَيْرُهـا بالأشـائِمِ (٦٨)

لقد تقصّد الشاعر استحضار (طير الأشائم) في هذا البيت هاجيًا قيس وواصفًا إياها بأنها ذُلّت وخَسِرتْ من خلال لفظتي طير الأشائم فقد زاد التأثير بالمتلقي من خلال هذا الاستحضار الذي أصبح مألوفًا عند العرب ومن عاداتهم في الجاهلية.
قال جرير:

ورَدَا بِـــــلادَكَ بالجِيـــــادِ كأنّهـــــا عِقبـانُ مُدِجنَـةٍ نَفَضْـنَ طِـلالا (٦٩)

وظّف الشاعر الموروث الأسطوري المتمثل بـ(عقبان) مستفيدًا من دلالته مازجًا في الوقت نفسهِ تجربتهِ مقرّبًا الشاعر الأسطورة من واقع المتلقي لضمان وصول فكرة أنّ المُهزّم وابن الحُبابِ حين وردا بلاد جرير كان ورودًا قويًّا وسريعًا لا يهاب الخصم ليتحقق من ذلك نجاحه في جعلها تجربة فنية وموضوعية.
قال الأخطل:

إذا كَلَفَـــوهُنَّ المَهامِـــةَ لـــم يَـــزَل غـرابٌ علـى عَوجـاءَ مِـنهنَّ أو سَـقْبِ (٧٠)

استلهم الشاعر الموروث الأسطوري والذي نجده في البيت الشعري بلفظة (غراب) مستفيدًا من دلالته وهي أنّه يأكل أولادها مازجًا في الوقت نفسه تجربته مقرّبًا الشاعر الأسطورة من واقع المتلقي لضمان وصول فكرة أنّه حتى نوقنا لاتبالي المصاعب وإن كانت تجهدها وترمي بأولادها ليحقق نجاحه في جعلها تجربة فنية وموضوعية.
قال جرير:

نَعَـــبَ الغُـــرابُ فقُلـــتُ بَـــيْنٌ عاجِـــلُ وجـرى بـهِ الصُّـرَدُ الغَـداة الألمَـعُ (٧١)

إنّ توظيف الشاعر المتعمد للفظة (الغراب) كان توظيفًا فنيًّا إيحائيًّا ليعبّر من خلالها عن حقيقة ألا وهي أنّ فراقًا سيقع بينه وبين من أحب كون الغراب هو نذير شُؤم عند العرب.
قال الأخطل:

أمـــا وأبيـــك لـــو أمْكنـــتَ قَـــومِي لَظَـلّ علـى جَناحَيْـكَ النّسَـارُ (٧٢)

وظّف الشاعر لفظة (النِّسار) ليؤكد على حقيقة تجول في خاطرهِ أراد إيصالها لخصمهِ وهي أنّ زُفر لم يتمكن من قوم الأخطل ولو أنّه تمكن لبقي النِّسارُ على كتفيه ملازمًا إياه أينما ذهب لقوتهِ وشجاعتهِ في الحروب وما يُخلّفُ من قتلى. فقد نجح الشاعر في هذا التوظيف الأسطوري الذي أثبت حقيقة قومهِ الذين صبروا وثبتوا في يوم مرج وفِرار زُفرْ فقد أثبت إيجابية الشجاعة لقومهِ ونفاها عن خصمهِ.

وقال الأخطل:

تَـنْقَضُّ فــي أثَــرِ الأوابــدِ مِثــلَ مــا تــنْقَضُّ كاسِــرَةٌ مِــنَ العِقْبــانِ (٧٣)

تعمّد الشاعر بقصدية واعية توظيف (العقبان) في بيتهِ الشعري ناجحًا في التأثير بالمتلقي الذي هو غاية الشاعر وهدفهُ الأساس من خلال إثبات حقيقة الشجاعة وتمكّن بني دارِم من الانقضاض على العدو كالوحوش وهذا ما تفتقر إليه قبيلة جرير فقد أثبت تلك الإيجابية لقومه ونفاها عن خصمه.

الأيــام والحــروب

ويندرج ضمن الموروث القصصي الأيام والحروب التي خاضتها العرب والتي تعد مصدرًا خصبًا من مصادر التاريخ وينبوعًا صافيًا من ينابيع الأدب، ونوعًا طريفًا من أنواع القصص؛ لما تضمنته من وقائع وأحداث ورائع الكلام، ... فهي تمثّل بطولات العرب وشجاعتهم أصدق تمثيل والتي عبرت من خلال الصور الحية عن طبيعة الصلات القائمة بين العرب وغيرهم من الأمم كالفرس والروم، وبينهم أنفسهم أي العرب كالقحطانيين والعدنانيين من أسباب النزاع فكانت مصدرًا يستحضر بكلّ فخر واعتزاز فضلاً عن كونها مرآة صادقة لأحوال العرب وعاداتهم وفضائلهم وشيمهم؛ كالدفاع عن النساء، والوفاء بالعهد، والانتصار للعشيرة، وحماية الجار والصبر في القتال وغير ذلك ممّا يلاحظ بوضوح في تلك الأيام (٧٤).

تسمى الأيام والحروب بأسماء البقاع والآبار التي نشبت بجانبها وهذا يبدو واضحًا في جميع الأيام التي وظّفها الشعراء الثلاثة في نقائضهم ومن تلك الأيام يوم ذي قار ويوم كلاب ويوم شعب ويوم طخفة... الخ (٧٥)فكانت تلك الأيام ينبوعًا ينهل منه شعراء الثالوث الأموي (جرير والفرزدق والأخطل) لرفد نصوصهم بالأبعاد والرؤى المحملة بالصور والمعاني وهذا ما يؤكد امتلاكهم ثقافة تاريخية غزيرة توضح إطلاعهم على أيام العرب وتاريخها وأبطالها وهذا ما ستوضحه الباحثة من خلال ما قامت به من جرد لتلك الأيام في نقائض جرير والفرزدق جرير والأخطل لتبين أيهم أكثر ثقافة ومعرفة بتلك الأيام وقد قسمت تلك الأيام إلى أيام جاهلية حدثت قبل الإسلام وأيام إسلامية حدثت في العصر الإسلامي كوننا قسمنا الموروث إلى قسمين الأوّل جاهلي والثاني إسلامي.

إنّ الفارق بين الأيام الجاهلية والإسلامية يكمن في إنّ الأولى كانت تقوم على أساس العصبية القبلية والفروق الجنسية والقيم والعادات أمّا الثانية فكانت وليدة الخلافات السياسية والدينية والمذهبية (٧٦).

قال جرير:

تــــراغَيْتُم يـــــومَ الزَّبَيْـــــرِ كـــــأنّكُمْ ضِــباعٌ بــذي قــارٍ تُمَنّــى الأمانِيــا (٧٧)

هنا في هذا البيت يهجو جرير الفرزدق وقومهِ لغدرهم بالزبير واصفا إياهم بدنس الفواجر، موظفا هذا اليوم التاريخي «ذي قار» (٧٨) ليؤكد مدى ثقافته وإطلاعهِ ومعرفتهِ بأحداث ذلك اليوم غير إنّ معركة ذي قار انتصر فيها العرب على العجم بينما غدرهم بالزبير أدى إلى قتلهِ.

قال الفرزدق:

وهُــمُ الــذينَ علــى الأميــلِ تَــداركوا نَعَمًــا يُشَــلُّ إلــى الــرئيسِ ويُعْكَــلُ (٧٩)

مَلِكــــانِ يـــــومَ بُزاخَـــــةٍ قتلوهُمـــــا وكِلاهُمــــا تَــــاجٌ علَيْــــهِ مُكَلّــــلُ (٨٠)

فقد وظف الشاعر يوم من أيام العرب في الجاهلية وهو (فلك الأميل) ليؤكد حقيقة شجاعة وقوة وبطولة بني ضبَّة في ردّ النعم وحبسها والذي زاد هذه الحقيقة توظيفه ليوم آخر من أيام العرب وهو يوم (بزاخة) والذي كان لبني ضبَّة وما أبلوا من بلاء بقيادة زيد الفوارس ليقتل مخرق وزياد وهما ملكان فقد نجح الشاعر في توظيفه لأيام العرب في الجاهلية من خلال معرفته وثقافتهِ بتفاصيل تلك الأيام كأنه كان حاضرا فيها؛ فقد ربط الشاعر من خلال هذا التوظيف القصصي المتمثل بأيام العرب في الجاهلية بين الماضي والحاضر للعبرة والعظة.

قال الفرزدق:

وتَقْتيـــــلُ المُلـــــوكِ وإنّ مِـــــنْهُمْ فَــوارِسَ يــومِ طخْفَــةَ والنّســارِ (٨١)

فقد وظف الفرزدق يومي طخفة والنّسار توظيفًا فنيًّا وإيحائيًّا ليثبت من خلالهما مدى جبن وانهزام تميم ليثبت من خلال هذا التوظيف هذه السلبية ويثبت في الوقت نفسه إيجابية له ولقومهِ وهو الانتصار في الحروب والبطولة.

الأيــام الإســلامية

من هذه الأيام الإسلامية ما جاء على لسان الفرزدق:

وعَشِــــيَّةَ الجَمَــــلِ المُجَلّــــلِ ضَــــارَبوا ضَــــرْبًا شُــــؤونِ فَراشِــــهِ تَتَزَيَّــــلُ (٨٢)

يفخر الفرزدق ببني ضَبّة بأنهم أولوا مجدٍ ورفعةٍ وبطولات والذي أكد ذلك هو تضمين الشاعر ليوم (الجمل) وتحديدًا ليلة الجمل لما حدث فيها من قتال في المسجد قتل فيه طلحة والزبير وقتل من بني ضَبّة الكثير. فقد ربط الشاعر بين الحاضر والماضي من خلال تضمين يوم الجمل ليؤكد على بطولة بني ضَبّة.

قال الفرزدق:

هُـمُ سَـمِعوا يـومَ المُحصَّـبِ مـن مِنـىً نِـدائي إذ التَقَـتْ رِفـاقُ المَواسِـمِ

عَشِـيَّةَ لاقـى ابـنُ الحُبـابِ حِسـابَهُ بِسِـنْجارَ أنضـاءَ السُّـيوفِ الصَّـوارِمِ

بِـهِ ضَـرَبَ اللهُ الـذينَ تَحزَّبـوا ببـدرٍ على أعنـاقِهِمْ والمَعاصِـمِ(٨٣)

هنا في هذا البيت الشعري يفخر الفرزدق ببطولته وقومه وشجاعتهم يؤكد ذلك من خلال استلهامه ليوم سنجار الذي قُتل فيه ابن الحُباب السلمي على يد بني تغلب فهو بذلك الاستلهام يوضح أنّ قيسا لا تمتلك الأخلاق الأصيلة وأنّها تفتقر للشجاعة فهو يُصرّح بشجاعة قومه قاصدًا بذلك إظهار ضعف وجبن قيس. وزاد هذا التأكيد استدعاء الشاعر ليوم إسلامي وهو بدر ليظهر من خلالهِ هزيمة المشركين وضعفهم ليزداد تأكيده لتلك الحقيقة التي ذكرها. فالشاعر أراد باستدعائهِ لهذا اليوم الإسلامي والذي سمى بيوم الفرقان أن يؤكد حقيقة أنّ السيف الذي ضُرب به سليمان بن عبد الملك هو ذاته الذي ضرب الله به المشركين على يد الرسول الأكرم ﷺ وصحابته الكرام الذين تحزّبوا في يوم بدر فمن خلال توظيف الموروث القصصي (يوم بدر) ربط الماضي بالحاضر للتأكيد على قضية حدثت في الحاضر للتأثير في المتلقي بما هو معروف عنده من حقيقة معركة (بدر).

قال جرير:

ولـم تَشـهدِ الجَـونَينِ والشِّـعْبَ ذا الصَّـفا وشَـدّاتِ قَـيسٍ يـومَ دَيْـرِ الجَماجِمِ (٨٤)

فقد استلهم جرير يومين من أيام العرب في الجاهلية وهو الجونيين والذي يسمى بالرّغام ويوم الشِعب ويسمى (جبلة) ليؤكد للفرزدق وقومهِ مدى افتقارِهم وجبنهم وعجزهم عن الوصول إلى علو منزلته ومنزلة قومه، والذي زاد تأكيد تلك الحقيقة هو استحضار الشاعر ليوم دير الجماجم.

الهوامش

(١) ينظر: عالم الفكر، مجلد ٤٠، ع٤ أبريل يونيو ٢٠١٢م تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت : ٢٣٠-٢٣١.

(٢) المصدر نفسه: ١٤٦.

(٣)الدراسات في التراث الشعبي ,ط٢ ,دار الميسرة ـ بيروت ,مكتبة مدبولي ,١٩٨٧م: ١٩١.

(٤) الإسطورة والمعنى , كلود ليفي شتراوس ,ترجمة وتقديم د.شاكر عبد الحميد ,مراجعة د. عزيز حمزة ,سلسلة المائة كتاب ,ط١ ,بغداد ,١٩٨٦م: ٦.

(٥) الأسطورة ,د.نبيلة إبراهيم ,الموسوعة الصغيرة ٥٤, دار الحرية ـ بغداد , ١٤٠٠هـ ـ١٩٧٩م: ٢٠

(٦) ينظر: المكونات الأولى للثقافة العربية ,د. عز الدين إسماعيل , مطبعة الأديب البغدادية , ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م: ١٢٣-١٢٥.

* صفة الشحة والبخل ,والمقصود هنا هو شحة الحياة وصعوبتها,ينظر: القاموس المحيط , مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) , تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي , بيروت ـ لبنان , ط٨ , ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.:١٢١٢/١.

(٧) الحيوان ,أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ),تحقيق: عبد السلام هارون ,مكتبة الجاحظ , مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ,مصر , ط٢ , ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م: ٣٠/٦.

(٨) المكونات الأولى للثقافة: ١٢٥.

(٩) ينظر: الأدب والاسطورة ,محمد شاهين ,المؤسسة العربية للدراسات والنشر ,بيروت ,ودارالفارس للنشر والتوزيع - عمان ,ط١, ١٩٩٦م: ٤١٥ وينظر: التواصل بالتراث في شعر عز الدين المناصرة ,رسالة ماجستير ,جامعة الخليل ,فلسطين ,٢٠٠٣: ١٩.

(١٠) ينظر: اتجاهات الشعر العربي المعاصر ,د.إحسان عباس ,سلسلة عالم المعرفة , ط١,الكويت ,١٩٧٨م : ٩.

(١١) ينظر: التواصل بالتراث في أعمال سميح القاسم الأدبية , شوقي أبو زيد ,رسالة ماجستير ,الجامعة الأردنية ,الأردن, ١٩٩٢: ٤٢.

(١٢) ينظر: الإسطورة والموروث الشعبي في شعر وليد سيف , رسالة ماجستير للطالبة ديانا ماجد حسين ندي ,جامعة النجاح الوطنية , نابلس ـ فلسطين ,بإشراف د.نادر قاسم ,٢٠١٣م: ٩٠.

(١٣) مجلة التراث الشعبي تصدر عن وزارة الثقافة والإعلام ,دار الجاحظ ـ بغداد ، ع٢، س١١ شباط ١٩٨٠: ٢٠.
(١٤) المصدر نفسه : ع١٢ س٣، ١٩٧٢: ٢٩.
(١٥) ينظر: الإسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام ,أ.د. أحمد إسماعيل النعيمي , سلسلة رسائل جامعية ,دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ,ط١ , ٢٠٠٥م : ١٧٧.
(١٦) ينظر: المصدر نفسه : ١٩٣.
(١٧) الأزمنة والأمكنة ,أبوعلي أحمد المرزوقي (ت ٤٢٨هـ) ,مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ,حيدر آباد ,الدكن ـ الهند ,ط١ , ١٣٣٢هـ : ١٧٨.
(١٨) الأسطورة :د.أحمد النعيمي: ١٧٨.
(*) متخمط:متغضب في كِبر,قطم:هائج , كتاب النقائض (نقائض جرير والفرزدق) , أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي البصري (ت ٢٠٩هـ) , حققه :أحمد عبدالعزيز سالم ,دار الكتب العلمية , بيروت ــ لبنان , ط٢ , ١ ٤٢٨هـ ــ ٢٠٠٧م:١٣٦/١.
(١٩) نقائض جرير والفرزدق: لأبي عبيدة البصري : ٢٤٩/١, أدراج النجوم: حظيت النجوم باهتمام كبير لدى العرب واعتقد البعض منهم أنّ لكلّ إنسان نجمة معلّقة في السماء بوجوده فإن بقي فهي باقية وإن مات فهي تخر وتسقط على شكل شهاب. ينظر: مجلة التراث الشعبي: ع٥ و٦، س٣، ١٩٧٢: ٤٥.
(٢٠) نقائض جرير والفرزدق : ٣٣٣/١، ووردت لفظة الثريا في المصدر نفسه: ٣١٧/٢ في مقدمة غزلية , قمر الثريا : ويقال له نجم الثريا وهو أشهر منازل القمر , والعرب تقول إن طلع النجم غدية ابتغى الراعي كسية ويظهر في المشرق عند ابتداء البرد أما نؤوها فمحمود وهو خير نجوم الوسمي , وقد عبدته العرب قبل الإسلام , معجم الأساطير ,لطفي الخوري ,ط١, دار الشؤون الثقافية ـ بغداد ,١٩٩٠: ٢١٦/١, وينظر: مجلة التراث :ع ٥ و ٦ س٣ , ١٩٧٢: ٤٦.
(٢١) نقائض جرير والفرزدق : ٣٣٦/١.
(٢٢) المصدر نفسه : ٣٧٢/١.
(٢٣) الأشراط: وهو كوكب من منازل القمر وهو جمع مفرده شرط وهو العلامة وسبب تسميته يرجع لكونه علامة على طلوع الفجر ويسمى أيضًا النطح والناطح لأنها عند أصحاب الصور قرنا الحمل
(٢٤)نقائض جرير والفرزدق: ١٧٦/٢. السماك وهو كوكب نيّر يميل لونه إلى الزرقة وسمّي سماكًا كونه قريبًا من سمت الرأس وسمت الرأس أعلى ما يكون من الفلك، ونوؤه غزير قلما يخلف مطره إلاّ أنّه مذموم لأنّه ينبت البسر وهو نبات إذا رعته الإبل مرضت. ينظر: معجم الأساطير: لطفي الخوري: ٧٩/٢؛ وينظر: مجلة التراث الشعبي، ع١٠ س٦، ١٩٧٥: ٧ إذ يتخذه البعض رمزا لعلو المكانة.
الفراقد: عثرت الباحثة على لفظة المثنى وهي الفرقدان: نجمان قريبان من القطب الشمالي يهتدى بهما. ينظر: مجلة التراث الشعبي: ع١٠، س٦، ١٩٧٥: ٦.
(٢٥) نقائض جرير والفرزدق : ١٩٤/٢.
مضيئة : لاعتقاد العرب بأنّ هذه النجوم معلقة كالقناديل وأنّها مخلوقة من نور. ينظر: مجلة التراث: ع٥ و٦، س٣، ١٩٧٢: ٤٥.
(٢٦) نقائض جرير والفرزدق: ٣٨٣/١.
(٢٧) المصدر نفسه : ٦٣/٢, زرب:بفتح الزاي وكسرها موضع الغنم أو حظيرته : لسان العرب , محمد بن مكرم بن علي ((أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الأفريقي (ت٧١١هـ))) ,دار صادر بيروت ,ط٣ ,١٤١٤هـ :٤٤٧/١,آبله:تتبع الابل :لسان العرب:٦/١١.
(٢٨)نقائض جرير والفرزدق: ١١٣/٢.
(٢٩) المصدر نفسه : ١٢١/٢.
(٣٠) المصدر نفسه : ٦٨/٢.
(٣١) المصدر نفسه: ٢٩٣/٢.
(٣٢) نقائض جرير والأخطل ,الأمام الشاعر الأديب الماهر أبي تمام ,منشورات محمد علي بيضون ,المطبعة الكاثوليكية , بيروت ,١٩٢٢م: ١٠٢. وورد في المصدر نفسه ص١٤٩ ذكر كوكب زمر غير إنّه ضمن مقدمة غزلية.
القلب (كوكبه) وهو قلب العقرب، ويكون أحمر والذي قالت العرب فيه: إذا طلع جاء الشتاء كالكلب، ونوء القلب تتشاءم به العرب ويكرهون السفر إذا كان القمر نازلاً في العقرب وفي نوئه يشتد البرد وتهب الرياح الباردة ويسكن الماء في عروق الشجر ورقيب القلب الدبران. ينظر: معجم الأساطير: ١٥٥/٢-١٥٦.
(٣٣) نقائض جرير والأخطل: ١٦٠ ، القمر: شغف القدماء بالقمر شغفًا كبيرًا فكان سلوة العاشقين ورفيق المغتربين. ينظر: ع٥ و٦، س٣، ١٩٧٢: ٤٢ وهو من المحاور الرئيسة للفكر الأسطوري يؤثر في ظواهر الطبيعة والحياة والكون؛ وينظر: مجلة التراث الشعبي: ع١٢، س٥، ١٩٧٤: ٦٩ ,والمصدر نفسه : ع١ , س٥ , ١٩٧٤ :١٣٦ ,والمصدر السابق : ع١١ , س٦ , ١٩٧٥: ١٧٠.

(٣٤) نقائض جرير والاخطل: ١٧٤, صنم كان لبني تميم وعُبّر عنها بذات حمم أي ذات الحرارة الشديدة والأشعة المتوهجة التي تشبه الحميم من شدة الحر. ينظر: معجم الأساطير: ١١٢/٢.
(٣٥) نقائض جرير والاخطل :١٩٥ , الهلال: تتفائل العرب بهلال أوّل الشهر فقد تصوّره الإنسان البدائي كائنًا حكيمًا يعرف بالتعقل والاتزان والسلوك وجعله رمزًا للخير والخصب. ينظر: ع١٢، س٥، ١٩٧٤. مجلة التراث الشعبي : ٦٩.
(٣٦) ينظر: الأسطورة: د. أحمد النعيمي: ١٩٧-١٩٨.
(٣٧) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠٤-٢٠٥.
(٣٨) نقائض جرير والفرزدق: ٢٤٨/١.
(٣٩) المصدر نفسه: ٢٣١/٢.
(٤٠) المصدر نفسه: ٢٨٠/٢. وردت هذه اللفظة في قوله تعالى في سورة المائدة (آية ٩٠): (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ).
(٤١) ينظر : المعتقدات الشعبية في التراث العربي ,حسن الباشا ومحمد السهيلي ,١٩٩١م:١٦١.
(٤٢) نقائض جرير والفرزدق : ١/ ٢٧٢.
(٤٣) ينظر: الأسطورة: أحمد النعيمي: ٢١٦، ٢٤٣.
(٤٤) ينظر: عبقر ,شفيق معلوف , ط٣ , منشورات العصبة الأندلسية ,سان باولو ـ البرازيل , ١٩٦٥م: ٦٠.
(٤٥) ينظر: مدخل الدراسات الفلكلور والأساطير العربية,شوقي عبد الحكيم , ط١ , دار ابن خلدون ــ بيروت , ١٩٧٨م: ٥١.
(٤٦) الحكاية الشعبية ,د.عبد الحميد يونس ,مطبعة دار الشؤون الثقافية ـ بغداد ,د.ت: ٣٠.
(٤٧) ينظر: الحكاية الخرافية , فريد رسن فون ديرلاين , ترجمة د.نبيلة ,دار النهضة , القاهرة ـ مصر ,١٩٦٥م: ٧٨.
(٤٨) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها , جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) , شرح :محمد جاد المولى وعلي البجاوي ,ومحمد أبو الفضل إبراهيم , مطبعة عيسى البابي الحلبي ,القاهرة ,د.ت : ١٦٤/١.
(٤٩) ينظر: الأسطورة: د. أحمد النعيمي: ٢٤٣.
(٥٠) الأساطير والخرافات عند العرب ,محمد عبد المعين خان , دارالحداثة , بيروت , ط٣ , ١٩٨١م : ٨٤.
(٥١) نقائض جرير والفرزدق: ٢٤٠/١, وبار:كان يعتقد العرب في صحراء جنوب الجزيرة العربية والمناطق النائية بوجود الجن فتكون نتيجة من يسير فيها من الناس إمّا الموت أو الجنون. ينظر: أساطير من تاريخ اليمن ,حمزة علي لقمان ,دار الميسرة , بيروت ,مركز الدراسات والبحوث اليمني , صنعاء : ٩٢.
(٥٢) ينظر: مضمون الإسطورة في الفكر العربي , خليل أحمد خليل , ط٢,دار الطليعة , بيروت , ١٩٨٠: ٣٨.
(٥٣) نقائض جرير والفرزدق: ٣٠٤/٢.
(٥٤) نقائض جرير والأخطل: ٥٥, الجنان بكسر الجيم هي الجآن الصغيرة.ينظر:أساطير من تاريخ اليمن: ٩٣.
(٥٥) نقائض جرير والفرزدق: ٢٨٠/١, النسور: أو ما يسمى (العُقاب) أو النسر الطائر وهي كواكب تسعة في الصورة وستة خارجها، وفي الصورة ثلاثة مشهورة تسمى النسر الطائر. ينظر: معجم الأساطير: ١٢٩/٢.القشعم :المسنُّ من النسور ,والضخم :لسان العرب :٤٨٤/١٢ــ ٤٨٥.
(٥٦) نقائض جرير والفرزدق : ١٢٥/٢.
(٥٧) المصدر نفسه : ٣٢٣/١.
(٥٨) نقائض جرير والأخطل: ١٥٣.
(٥٩) المصدر نفسه: ١٦١ وقد ورد توضيح العقبان فيما تقدّم.
(٦٠) نقائض جرير والاخطل : ١٥٩, الشيطان: وهو ملك مطرود من رحمة الله كونه عصى أمره ثمّ أغوى آدم وحواء حتى أخرجهما من الجنة ويتصف بالفردانية أي لا مثيل له فضلاً عن سرعة البديهية والقدرة على التحوّل من شكل إلى آخر وتسلله إلى الدخائل رغمًا عن أصحابها. ينظر: مجلة التراث الشعبي: ع١٠، س٦، ١٩٧٥: ١٠٩.إمة:النعمة والحال الحسنة,والابتهار : الكذب :نقائض جرير والأخطل:١٥٩.
(٦١) ينظر: عقائد مابعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة ,نائل حنون ,دار الشؤون الثقافية ــ بغداد ,ط٢ , ١٩٨٦م: ١١٢.
(٦٢) ينظر: مجلة التراث الشعبي: ع٢، س١١، ١٩٨٠: ١٠٧-١٠٨.
(٦٣) ينظر: التطير والفأل في موروثنا العربي ,بحث منشور في مجلة القسم الأول منشور في مجلة المناهل ـ المملكة العربية ,ع٢١: ٢٠٤ وما بعدها.
(٦٤) المصدر نفسه: القسم الثاني.
(٦٥) الاختلاف في اللفظ: لابن قتيبة: ٣٠ نقلاً عن الأسطورة: د. أحمد: ٢٥٢.
(٦٦) ينظر: المستطرف في كل فن مستظرف ,شهاب الدين الأبشيهي , تحقيق: عبدالله أنيس الطباع , دار القلم ,بيروت ــ لبنان , ١٩٥٢م: ٨٣/٢.
(٦٧) محاضرات في تاريخ العرب , د. صالح أحمد العلي , دار الكتب للطباعة ــ جامعة الموصل , د.ت : ١٩٠.

(٦٨) نقائض جرير والفرزدق: ٢٧٠/١. ووظّف الشاعر نفس الرمز في المصدر نفسه: ٢٨٦/١.
(٦٩) نقائض جرير والأخطل: ٩٥.
(٧٠) المصدر نفسه : ١٠٤,سقب:الرُبع حين تلقيه أمه,نقائض جرير والأخطل:١٠٤.
(٧١) نقائض جرير والفرزدق: ٢٨٧/٢.
(٧٢) نقائض جرير والأخطل: ١٣٠.
(٧٣) المصدر نفسه: ٢٢١, الغراب: وهو أشأم الطيور عند العرب إذ طبعت بهذا الطائر الصفات المذمومة الخيانة واللؤم والنحس للونه الأسود وقبح منظره فضلاً عن اشتقاق اسمه من الغربة والاغتراب فضلاً عن صوته الذي يتحاشاه العربي. ينظر: مجلة التراث الشعبي: ع٢، س١١، ١٩٨٠: ١١١، ١١٣ ، ينظر : الحيوان : ٤١٠/٣ .
(٧٤) ينظر: أيام العرب في الجاهلية: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ـ ط – المقدّمة؛ وينظر: المضامين التراثية في شعر أبي العلاء المعري (دراسة موضوعية فنية),أسماء صابر ,إطروحة دكتوراه ,كلية التربية جامعة تكريت ,٢٠٠٢م: ٢٦.
(٧٥) ينظر: تاريخ الأدب العربي ـ العصر الجاهلي ,د. شوقي ضيف ,دار المعارف ,ط٤: ٦٥.
(٧٦) ينظر: أيام العرب في الجاهلية: المقدّمة – ك ـ.
(٧٧) نقائض جرير والفرزدق: ١٣٣/١؛ وورد هذا اليوم بمسمى آخر وهو قراقر في المصدر نفسه: ٧٠/٢.
(٧٨) يوم ذي قار: كان من أعظم أيام العرب وهو يوم لبني شيبان على الفرس، وهو أوّل يوم انتصرت فيه العرب على العجم. ينظر: أيام العرب في الجاهلية: محمد أبو الفضل وعلي محمد البجاوي , دار الجيل , بيروت ـ لبنان , ١٤٠٨هـ ـــ ١٩٨٨م: ٦-٣٦.
(٧٩) نقائض جرير والفرزدق: ١٤٠/١, الأميل وسميّ فَلَكِ الأميلِ ونقا الحَسَنِ وهو يوم لبني ضَبّة على بني شيبان، ولم تعثر الباحثة على هذا اليوم في أيام العرب في الجاهلية وعثرت عليه في كتاب نقائض جرير والفرزدق: ١٤٠/١-١٤١.
(٨٠) المصدر نفسه : ١٤١/١, يوم بُزاخة: وهو يوم من أيام العرب في الجاهلية كان لبني ضبّة على محرق وزياد وطوائف من العرب من تغلب وغيرهم. ينظر: أيام العرب في الجاهلية: ٣٨٨-٣٨٩.
(٨١) نقائض جرير والفرزدق: ١٧٤/١؛ وورد هذا اليوم في المصدر نفسه: ٣٥٣/١, طخفة: وهو يوم من أيام العرب في الجاهلية كان لبني يربوع على قابوس في عهد الملك ابن المنذر بن ماء السماء. ينظر: أيام العرب في الجاهلية: ٩٤-٩٨.
يوم النسار: وهو يوم من أيام العرب في الجاهلية كان لبني ضبّة على بني تميم. ينظر: أيام العرب في الجاهلية: ٣٧٨-٣٨١.
(٨٢) نقائض جرير والفرزدق: ١٤٦/١, عشية الجمل: وهو يوم من أيام العرب في الإسلام قُتل فيه طلحة والزبير. ينظر: أيام العرب في الإسلام , محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي , دار الجيل , بيروت ـ لبنان , ١٤٠٨هـ ـــ ١٩٨٨م: ٣٣٩.
(٨٣) نقائض جرير والفرزدق: ٢٦٩/١ـــ ٢٧٢, يوم سنجار: وهو يوم من أيام العرب في الجاهلية ويسمى بالمشقر والصفقة وهو لكسرى على تميم. ينظر: أيام العرب في الجاهلية , محمد أبو الفضل إبراهيم : ٢. بدر: وهي أوّل معركة من معارك الإسلامية والتي كانت بين المسلمين وقبيلة قريش وكانت للمسلمين على قريش. ينظر: مجموع أيام العرب في الجاهلية والإسلام , إبراهيم شمس الدين , منشورات محمد علي بيضون , دار الكتب العلمية , بيروت ـ لبنان , ط١ , ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م: ١٣٨.
(٨٤) نقائض جرير والفرزدق : ٢٩٤/١.